



جواب عن أسئلة الأستاذ الطنطاوي

جاءنا من هامة حضرموت ومفتيا الأستاذ عبد الرحمن عبد الله هذا الجواب عن سؤال الأستاذ (الطنطاوي) المنشور في العدد ٣١٦ وقد أملاه على أحد تلاميذه قال :

يتماثل الكلام من ازدحامه في الجواب عن هذا السؤال الخليق باللسان التضناض، والإفراد بالتأليف القضاض، حتى تبرد القلوب وتطمئن النفوس بإتساع صدر الإسلام وضمانه للفوائد وقبول مبادئه للمصالح العامة إلى الأبد، وحتى تتأكد بأن الفقه الشافعي مبني على الأسس الثابتة من الكتاب والسنة . وخذ من عفو الخاطر ولسان البديهة ما يكون لفة معجزة وتملة للسائل إلى سنوح الفرصة للافاضة فيما يشق أوامه بالأدلة الناصحة والبراهين القاطمة .

أما أولاً فلأن في الاستماعة بالتوكيل في الرؤية والتسليم ما تندفع به المشاق في التعارف بين التجار

وأما ثانياً فلأن مقابل الأظهر في النهاج صحة بيع الثائب وإن لم يره البائع ولا المشتري، وبه يقول الأئمة الثلاثة . وقد جاء في فتاوى ابن حجر وأبي محرمة أنه متى أمر السلطان بتأبيع مذهب معتبر في قضية وجب اتباعه، فاعلى الحكومة إلا أن تصدر أمرها بالعمل بذلك وينحل الإشكال

وأما ثالثاً فلأن الإمام النووي اختار انعقاد العقود بالمعاطة، وتسامح في القول بها الإمام النزالي رهو ممن لا يبجل مكانه من التصلب والورع في الدين. وقال في التحفة: وعلى الأصح لا مطالبة بالمعاطة في الآخرة للرضا

وأما رابعاً فلأنه يسن للمقترض أن يزيد في الدفع على ما اقترضه لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحسنكم قضاء. وإذا انضم إلى ذلك الأمر من السلطان بدفع الزيادة تحم دفعها وصار واجباً كما بينت ذلك في كتابي (صوب الزكام) ففي إمكان البنك المصري وأمثاله مع هذه النشاح الواسعة أن يتبسط

في معاملاته ويفتن في مكاسبه بنجوة عما حرمه الله وأذن عليه بحره من الربا

وأما خامساً فلأن القول بالمصالح المرسله يمهّد السبيل لكل مصلحة، ويفتح الباب لكل منفعة .

وأول من فتحه على مصراعيه الخليفة الثاني رضوان الله عليه. وأوليس هو القائل: متمتان كاتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحرمهما. وجاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر واحدة، ثم قال عمر إن الناس قد استعجلوا ما كانوا فيه على إناة، فلو أمضينا عليهم، فأمضاه عليهم .

وقد أجمع الفقهاء الأربعة على نفوذ الثلاث باللفظ الواحد، وإنما أمضاه عمر لما ظهر له في إمضائه من المصلحة كما قاله النووي وتبعه السبكي. فهو إذن قريب من القول بالمصالح التي عليه الأكثر من المالكية، وبه يقول كثير من الشافعية، منهم علامة اليمين ابن زياد. وتوسع فيه الحبر البدل شيخ مشائخنا الإمام عبد الرحمن ابن سليمان الأهدل، حتى لقد نقل عن العلامة الحشيري الحكم بالمادة في القضية التي تخشى فيها الفتنة من الحكم بالنصوص الفقهية . فليهدأ بال سائل وليفرخ روعه، وليعلم أن من أرسخ القواعد لدى فقهاء الشافعية وأصولهم أنه إذا ضاق الأمر اتسع . وأن الفقه ليس إلا الخير المصام الموافق لتيسير الإسلام، الضامن لمصالح الأمم على مرور الأيام. وإنما قد يؤتى من جهود بعض منتحليه فيظن به ما هو منه براء، وبينه وبينه سبل وعرة وأرض عراء . هذا ما سنح، والمذرمهد للضعف والزيادة والنقص، لأنه كما قلنا بلا إعمال روية ولا إلتباب خاطر ولا مراجمة صحيفة، ومن ورائه تفصيل، أنا به عند الحاجة كنفيل، إن شاء الله تعالى .

عبد الرحمن هبب الفوم

« حضرموت »

عنى حضرموت

الى الدكتور زكي مبارك

هل تسمح لي يا دكتور أن أسألك عن معنى جملة جاءت في مقالك الأخير؟

إنك تقول: «... فكل ما تقرأونه في الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالفغلة والحق والطيش والجلال وسوء الفهم وبشاعة التصور وخرود العقل وبلادة الإحساس، كل أولئك الصفات التسمية وضعت لمرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية، لتقوم على أبقاضها العقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد»

« وكان من حق رجال الدين أن يضعوا في تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون لأنهم كانوا يرونها زيفاً في زيغ... »

وقد عرض لي عند قراءتها إشكالات:

١ - أن التاريخ هو العلم الذي يتبنا بأخبار من مضى، وكتبه هي مادة هذا العلم؛ فإذا كان في كتب التاريخ وصف للمرب بهذا الذي تقول أو بفضه أو ما يشبهه، فإنه يبقى صحيحاً معتبراً حتى يجيء من ينقضه بالأدلة العلمية المستندة إلى النص الصحيح. أما حكمك عليه بالوضع بلا دليل فلا يصنع في رده شيئاً، فهل لك عليه من دليل؟

٢ - وردك لما روت الكتب الدينية، أو يفهم من كلامك أنها روته، وحكمك عليه بالوضع أشد، لأن هذه الكتب الدينية، من دواوين الحديث أو مجموعات التفسير أو تصانيف الأئمة، حجة للمسلمين في دينهم، ومصدر يأخذون منه شريعتهم، فإذا صح لكل أديب تكذيب شيء منها بلا دليل صارت كلها عرضة للتكذيب، وبطل الدين. وإذا كانت مسألة اليوم هيئة لا تمس جوهر الدين، فإنها تجرحنا إلى ما ليس بالهين وتكون سنة في الناس سيئة - أعيذ الله ككتور زكي مبارك أن يكون صاحبها الذي سيحمل وزرها ووزر من عمل بها

٣ - ما الدليل على أن الرواة اختلقوا الأخبار لتحقير الوثنية أو أنهم منعموا من رواية أبيائهم؟

٤ - ليس في الإسلام طبقة خاصة تعرف رجال الدين، وإنما فيها العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين، وطبقاتهم طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين ومقلبيهم، فأى أولئك الذين حكم عليهم الدكتور بصنع هذه الأخبار التي تشوه الوثنية ووضعها؟ وهل من السكندريين الصحابة والتابعين

الذين نقل عنهم الشيء الكثير في ذم شرك الجاهلية وقبيح أحوالها؟
٥ - وما معنى قول الدكتور بأن ما جاء في الكتب التاريخية والدينية من الأخبار الموضوعية (زرعه) إنما أريد منها تحقير الوثنية لتقوم على أبقاضها عقيدة التوحيد، مع أن المروف الثابت أن الوثنية هدمت منذ هدم الله أصنامها، وبحيث أبقاضها، وقامت عقيدة التوحيد قبل انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ورست دعائمها؟

هذا وليثق الدكتور أن هذه أسئلة مستنهم، يجب أن يعرف جوابه عليها.

هي الظنطاري

هرول نعيم الجنة

قرأت في العدد (٣١٦) من الرسالة رد أستاذنا الدكتور زكي مبارك، فأجيب بالآتي: ذكر الدكتور ما يفيد أن هناك من يرى أن الجنة رمز وبجاز، ولكن لما كانت اللذات الآخروية هي لذات لا تدرك إلا بالعقل المحض، فقد قال مثل العلامة الأصفهاني: إنه لما أراد الله أن يقرب معرفة تلك اللذات من أفهام الكافة شبهها ومثلها لهم بأنواع ما تدركها حواسهم، فقال تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصق» ليعين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب الطعام، وقال: «مثل الجنة التي وعد المتقون» ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل، وأن الإنسان إن اجتهد ما اجتهد أن يطلع على تلك السعادة فلا سبيل له إليها إلا على أحد وجهين: أحدهما أن يفارق هذا الهيكل ويخلف وراء هذا المنزل فيطلع على ذلك. والثاني أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأمراض النفسانية فيطلع من وراء ستر رفيق على ما أعد له^(١)

ولكننا لا نستطيع الأخذ بنظرية التصوير هذه، لسبق وجود جنة بها أشياء مادية، وخرج منها أبوانا آدم وحواء لأكلهما من الشجرة المحرمة، ولا تريد أن ندخل في الخلاف الذي ذكره ابن قيم الجوزي في الجنة التي سبق لأدم السكنى فيها هل كانت جنة الله أم جنة أخرى^(٢) لأنه على أي حال يجب استبعاد النظرية

(١) راجع ص ٥٩ - ٦٢ من كتاب تفصيل النشأين وتحصيل السامعين للأصفهاني

(٢) راجع مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزي ص ٢ - ٤

الجدال ليس ذكر أن النعيم سيلحق الجسم والروح أم لا لأننا أجمعنا على ذلك؛ بل هل أغلب اللذات سيكون حسيًا أم روحيًا؟ أو بمعنى آخر هل تغليب اللذة سيصف لذات الجنة بأنها روحية أم بأنها حسية؟ على أنه بطريربي أن أرى أستاذنا الدكتور زكي مبارك ينزع نزعة روحية من غير أن يشعر، إذ يقول في كلمته في العدد ٣١٦:

« سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم برضوان الله أطيب بنعيمهم بما في الجنة من ثمرات وطيبات » وإن كنت لا أفهم كيف يرى عدم تميم أن الرضى بالنعيم أطيب مما في الجنة من ثمرات مهما كانت درجة الرضى عنه . ولعل المخرج من هذا قول الدكتور في العدد ٣١٨ في الرد على الأستاذ الفمراوي: « إن العبادة الصحيحة هي رؤية الله في نعمه المشكورة » فإني أرى أنه بهذين قد زحزح نفسه كثيراً عن رأى حسية لذات الجنة ، لولا ذكره ما ذكر من دعاء نافسه فيه الأستاذ الفمراوي مناقشة عنيفة في كلمتين، فكتب أستاذنا الدكتور زكي كلمة يحمد الله تعالى فيها على نعمة الإسلام

على أن وجود الأشياء الحسية في الجنة لا يعني أن التمتع سيكون حسيًا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب ملاحظة تغيير ما في طبيعة الإنسان في الدنيا عنها في الآخرة لوجود قوى نفسية نازعة للبهيمية وعدم إمكان تصور هذا في الآخرة ، على فهم أن أصحاب الجنة لم يصلوا إليها إلا لأنهم فهموا خصائص الروح وتمتعوا كثيراً كل حسب درجته بلذتها ، فلا يعقل أن يكون جهنم للذة الروحية في العالم الثاني أقل من جهنم لها في عالم الدنيا . ثم إن للجو حكمة ، فجو الجنة جو روحي لا يمكن أن يمد إنسان إلى الخروج عنه ؛ على أن الحسيات لها بعض العناية بها، ولذاتها بعض الرغبة فيها، على أن تكون ثانوية وثابتة ، وعلى أن تنحو نحو الفكرة الروحية . وإذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى - كما في الحديث القدسي - : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار ! فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ويكفي أستاذنا الدكتور زكي مبارك من علامات روحية اللذات في الجنة أن أصحاب الجنة سيكونون ولا اختلاف بينهم ولا تباعد، فلو بهم على قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشية، وتحميتهم فيها سلام، وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين

التصورية لمعارضتها لكثير من النصوص . إذن لم يبق إلا قول الدكتور زكي مبارك : « إن الإنسان مكون من جسد وروح ، وهو كذلك في الحياة الآخوية » . ولا أدري لماذا نشبت أستاذنا الدكتور بذلك هذا الشيء البديهي ، ولكنني أطمئن دكتورنا على أن الثواب والمعاقب سيكونان للروح مع البدن. أذكر خلاصة ما ذكره الخوارزمي من أدلة على هذا من أن الأفعال والتدابير والآراء كلها تصدر من الجسد الحى ، وأن الطاعة والمعصية حصلتا منهما جميعاً ، وأن الثواب بالطاعة والمعاقب بالمعصية إنما صادر من الجسد بواسطة الروح فيجب أن يكون العقاب والثواب لها^(١) وأن كلاً منهما محتاج لصاحبه، لولا الروح لكان القالب خشباً مسندة، ولولا القالب لما كان روح . فكل راض فاعل وعامل من وجه فيكون الخطاب والثواب والعقاب لها جميعاً ، حتى قال ابن عباس رضى الله عنه : لم تزل الخصومة قائمة إلى يوم القيامة حتى يختصم الروح مع الجسد فيقول الجسد: أى رب خلقتني كلجنة ولم تجعل لى يداً أبطش بها ولا رجلاً أمشي بها ولا عيناً أبصر بها حتى دخل هذا على كالمشاهير، فبه نطق لساني وسمعت أذني وأبصرت عيني وبطشت يدي، فأحل عليه العذاب ونجني من النار . فتقول الروح: يارب خلقتني كالريح ولم تجعل لى يداً ورجلاً وعيناً وسمماً فلم أبحرك إلا بحركته ولم أسكن إلا بسكونه، فما ذنبي وما جرمي يارب؟ أحل عليه العذاب ونجني . قال : فيضرب الله تعالى لها مثلاً كالأعمى والمقعد بصطحبان ، أما الأعمى فلا يبصر، والمقعد لا يقدر على المشي، فبلغنا إلى بيتان فجلسا وتشاورا وطلبا حيلة ، فقال الأعمى : أنا لا أبصر فمر أنت وأت بالعنب ، وقال المقعد : بل مر أنت فإني لا أقدر على المشي ، ثم تناظرا وتناصفا وقالوا : هذا أمر لا يتم بأمر دون الآخر ، يا أعمى قم أنت فارفضني حتى أتسلق الحائط وأقطف العنب . فلما توافقا قطعا العنب وأكلاه . وقال المقعد : لولا أنت يا أعمى لما أكلت . وقال الأعمى : لولا أنت يا مقعد لما أكلت . ونحن لم ننكر تمتع الروح والجسد فقد قلنا في كلمتنا الأولى في العدد ٣١٥ : « إن الإسلام دين روحانيات ومعنويات ، وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات . بل هو يعنى بها وينظيها التنظيم الذى يتصل بأن يرق بالإنسان إلى الروحانيات ... وأنه إن أراد يعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريد لها حقيقة متواضعة ، كما هي في دنياها ، بل يريد لها عزيمة تتصل أكبر مما تتصل بالروحانيات والمعنويات » ، فالذى يحتمل

(١) ص ٦٠ و ١٢٩ من مفيد العلوم ومفيد العموم للخوارزمي

عليها « القومية المغربية » « الامتثال لواجب الرابطة العربية ،
والجامعة الإسلامية » ، وهي ما كانت لتقول مثل هذه الكلمة
لو لم تكن شاعرة بما يخلج في ضمائر الشعب المغربي من حب الوحدة
الإسلامية ، والتضحية بكل غال في سبيلها
وهل كتب علينا الشقاء إلا يوم كتب على الخلافة
الإسلامية بالعدم ا
« ناس »
« أوبر الفراء »

هول معنى بيت

ذكر الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى في العدد (٣٢٢) من
مجلة « الرسالة » الفراء أن هذا البيت المنسوب إلى معاوية في قصة
سعد وسعاد :

قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن
لا يحتمل ما فهمته فيه من حمل كلمة - كتب - على ظاهرها ،
وإنما هي جمع كتاب بمعنى مكتوب ، والمكتوب هو المفروض ،
فيكون المعنى له مفروضات من الفرائض ، وإذا كان هذا هو معنى
البيت فإنه لا يكون فيه دلالة على أن قصة سعد وسعاد موضوعة
وإني أرى أن هذا المعنى الذي ذكره الأستاذ يزيد في ضعف
هذا البيت وسخافته ويحمله تهافت اللفظ والمعنى ، وتهافته اللفظي
ظاهر لاخفاء فيه ؛ وأما تهافته المعنوي فلأن الصوفي لا يمتاز عن
غيره بمفروضات مكتوبة يقوم بها ، لأن المكتوبات واجبة على
سائر الناس ، وإنما يمتاز الصوفي بالخلوة ومدامه العبادة وغير ذلك
مما اخترعه التصوف . وقد فهم الأستاذ أحمد عيسى الفرائض
في البيت على ظاهرها فخفي عليه المعنى الذي فهمته فيه ، مع أن
الفرائض هي الأوراد ونحوها مما يفرضه الصوفي على نفسه ، وهو
إطلاق سائغ لا شيء فيه ، ومعنى البيت عليه : له كتب من كتب
الأوراد ونحوها

وأرى أيضاً أن البيت يدل على أن القصة موضوعة ولو حمل
على المعنى الذي ذكره الأستاذ أحمد عيسى ، لأن نظام التصوف
الذي يشير إليه لم يكن حدث في ذلك العصر ، وقد بنيت وضع
القصة على هذا ، كما بنيت على أنه لم يكن في ذلك العصر كتب
تصوف ، وكل منهما كاف في الدلالة على وضعها ، وكذلك
سخافة البيت وتهافته ، وما كان للأستاذ أحمد عيسى أن يهتم
بعد هذا به .
هجر المتقال العميري

المغرب الأقصى وفكرة الخلافة

قرأت متأخراً في العدد الممتاز من مجلة « الهلال » الأخر
مقالاً للأستاذ عبد النادر حمزة باشا عن الخلافة الإسلامية وعدم
إمكان قيامها في الوقت الحاضر ، جاء فيه ما يلي :

« وإذا قيل إنه من اللبسور أن تقوم الخلافة بين الأمم
الإسلامية المستقلة ، وأن مصر أولى هذه الأمم بتلك الإمامة
لأنها قلب العالم الإسلامي ؛ إذا قيل هذا ، فيجب ألا ينسى أن
هناك من يعارض في الخلافة ، ولا يعترف بها كتركيا والمغرب
الأقصى وغيرهما ، وما من فائدة في قيام نظام لا يعترف به الجميع »
أريد أن أسأل حضرة الكاتب عن أخبره بأن المغرب
يعترض على فكرة الخلافة .

فإذا كان هذا الفهم وصله عن طريق الصحف الاستعمارية ،
أو عن تصريحات الرجال الرسميين ، وهو لن يصله إلا عن هذين
الطريقين ، فأريد أن أقول لسعادته : إن القول في مثل هذا الأمر
ليس هو من حق هؤلاء ولا من أولئك . القول الفيصل في هذا
إنما هو لإرادة الشعب المغربي ؛ والشعب المغربي لن يعارض مطلقاً
في كل فكرة يستمد منها الإسلام والمغرب القوة والمجد ، كفكرة
الخلافة الإسلامية ، أو الوحدة العربية .

وإذا كانت وضعية المغرب لا تسمح له في الوقت الحاضر
أن يساهم في مثل هذه الأعمال الكبيرة ، فهو يرجو أن تتحقق
لأنه يعلم أن مثل هذه المشروعات العظمى ستمود عليه وعلى باقي
الأقطار العربية التي تحت الاستثمار بأكبر المنافع ، وسترفع عن
كاهله كثيراً من القيود والسدود

على أن موضوع كلام الكاتب إنما كان في الأمم المستقلة ،
والمغرب ليس كذلك ، فهل نسي سعادته أن المغرب تحت حماية
فرنسا ؟ وما وجه قران المغرب بتركيا ؟ إن المغرب يختلف تمام
الاختلاف من حيث الأوضاع والنظم عن تركيا . والمغرب يمسك
على دينه بأيدي حديد ، ويريد اقتضاء قواعد الإسلام حذواً
بمجنو ، كما سنها الرسول ، وكما نزل بها القرآن

وأعود فأقول : إن الحركة القومية بالمغرب التي يترأسها الزعيم
الأكبر محمد بن الحسن الوزاني - أطلق الله سراحه - كانت
صرحت في جريده « الدفاع » : أن من الأسس التي تتكز